

مقدمة

سبل التائبات بحث مقدم للبنات والأمهات فى ثلاثة أبواب ، تسبح فيه القارئة فى بحار التوبة التى سبج فيها الرسل والأنبياء .

تتعرفين من خلالها على سنة آدم ونوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان عليهم السلام فى التوبة ، ومنهجهم فى التوبة ، وقبل أن تبجرى فى بحار التوبة تتوقفين لتلقى نظرة من بعيد على قصة كل نبى ، لكى تستطيعى أن تبجرى بسلام وتعرفى كم من الأمواج ستقابلينها فى كل بحر ، وارتفاع هذه الأمواج والمجهود المطلوب لتخطيها بأمان .

استعدى لمواجهة خمس موجات عالية فى بحر آدم ﷺ وهى : موجة الإحساس بالذنب والعلم به ، وراها مباشرة موجة الاعتراف بالذنب وما إن تنتهى منها وتسبحى فى التفكير فترة قصيرة إلى أن تجيء موجة أخرى تأتى من بعيد لتستعدى لها ولتتخذى كل ما تستطيعين من قوة وصبر وحكمة، وهى موجة اتخاذ الشيطان عدواً ، تليها موجة بيضاء ناصعة مضيئة وهى هداية الله ، وورها موجة تحتاج إلى ثبات وقوة وهى العزم وعدم النسيان . وبعدها تصلين إلى شاطئ التوبة بعد عناء شديد ومشوار طويل أعانك عليه الرغبة الأكيدة للوصول إلى شاطئ التوبة بسلام والحصول على مغفرة الله عز وجل . ثم تسيرين سيراً خفيفاً وتأخذين نفساً عميقاً وتستعدين لنزول بحر نوح ﷺ ربما تذكرتى السفينة ونجاة ركايبها المؤمنين فتمنيت أن تجدى سفينة فى هذا البحر لتخفف عنك عناء الإبحار ، ولكن للجنة أصحابها وسعداؤها وقد حفت بالمكاره فلتتحمل سعا .

قلت : ربما تنفعنى الوساطة للوصول للشاطئ بسرعة ولكن هذه موجة فى بداية الطريق عليها لا وساطة فى الدين ، فتخطيها بنفسك وتوكلى على الله ، وبعدها موجة للتوجه لله بالدعاء وطلب العفو والمغفرة ، وربما نزلت البحر قبل أن تعرفى طبيعته وطبيعة من يدخله ومن سقط قبل أن يصل للشاطئ فتأتى عليك موجة الاستعاذة بالله من الجهل لتعوضى ما فاتك من تقصير فى العلم والمعرفة ، لقد اقتربت من الوصول فجاءت عليك موجة شديدة لتعلمك أن الإحساس بالخسارة والندم على المعصية لا بد أن تتذوقيه قبل أن تمشى على شاطئ التوبة بسلام .

وعندما تمشين على الأرض بقدمين ثابتتين وتنسين التعب والمشقة في الإبحار ستطمعين في الغوص في بحر إبراهيم عليه السلام - أبى الأنبياء - انظري من بعيد وستجدين أربع موجات قادمة من بعيد فتقفزي بجرأة شديدة وتسرعى الإبحار فتجدي أولها الطمع في المغفرة فكم طمعتى في الدنيا وما فيها وما وجدتي غير الغرور والخسران .

الآن اختلف الطمع إنه طمع مضيء واسع لا يزول ، إنه ليس بينا إنه قصر تجرى من تحته الأنهار ، ولكن موجة عظيمة وراها تأتي لتعظم ما ارتكبت من أخطاء ، فستقتنعين بها وتجتازينها بسلام في فترة وجيزة وتأخذين نفسك وتهدين فتجىء الموجة الثالثة تحرضك على الاجتماع مع أهلك للتوبة ، ثم وقبل أن تصلى للشاطئ فإن موجة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة تأتي كبيرة جداً ؛ فالأعمال الصالحة لا تحصى ولا تعد منها الظاهر ومنها الباطن منها البسيط ومنها الكبير ، ومنها الصعب ومنها اليسير ، والله المستعان فلتأت ما تستطيعين قبل ، وقبل . . . ، وقبل . . .

الحمد لله وصلت للشاطئ فسوف تحاولين وتجتهدين أن تكون البحار الثلاثة التي خضتينها في قلبك وعقلك ونفسك وأن تظهر على عملك وقولك وفكرك . وإلا ما فائدة الخوض في البحار وتعب الأفكار !

وبعد الاقتناع والإحساس بعدم القدرة عن الامتناع ستعطين القرار وتخوضين بحاراً جديدة ، فاستعدى لتزلى بحر يونس عليه السلام ، وفيه ثلاث موجات : الأولى قريبة جداً وأوشكت على الوصول منك ؛ وهى الغضب كسب من أسباب الوقوع في الذنب ، كأنها تعرف أنك سريعة الغضب لنفسك ، وأنت لم تتدربي على الغضب لله كما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى لم يغضب لنفسه قط ، ثم تأتي بعدها موجة عدم الصبر كسب من أسباب الوقوع في الذنب .

حقيقة حاولتى التدرب على خوض هذه الموجة قبل النزول في هذا البحر ولكن ربما تتخطينها بسلام يكون عوناً على التدرب على الفضيلة ، وأنت تحمدين الله وتشكرينه وتدعينه ستجدين الموجة التى تختص بالدعاء لله لتقبل التوبة وبهذا يزداد إيمانك بالله وتتوجهين بالدعاء سرا وعلنا وبعدها تصلين إلى الشاطئ بسلام .

ويأتى دورك للخوض في بحر يونس عليه السلام فتظري من بعيد فتجدي موجات الإحساس والاعتراف بظلم النفس ، وسرعة التوبة والإنابة إلى الله ، والإحساس

بالمسؤولية تجاه الآخرين ، وأن هناك حدوداً لعلم الناس بالله تعالى ، فتقررى بعد ذلك القفز بسرعة حتى لا يضيع الوقت ويظلم الليل فلا تستطيعى النزول .

وقبل أن تحف الملابس وقبل الراحة من عناء الإبحار تقررين أن هذه البحار لا بد وأن تستكملينها جميعاً فاطلبى الله أن يعطيك العمر والصحة والقدرة على استكمال رحلة التوبة إليه ، فستجدين بحراً فيه موجة واحدة يبدو أن موجات الهوى قد تجمعت فى موجة واحدة قوية ولكنها تنقسم إلى تسع موجات متجمعة متماسكة وهى : عدم العدل ، وعدم الاستقامة ، وتزوين العمل والطبع على القلوب ، وعدم ذكر الله ، والظلم ، والضلال ، والاستكبار ، والجهل إنها أصعب كثيراً من الموجات الكثيرة والأقل قوة فتجمع الصغير يصبح كبيراً يصعب مواجهته . والذى يصبرك عليه هو أنه لم يتبق من البحور سوى بحر واحد وهو بحر سليمان عليه السلام وفيه ثلاث موجات ربما أصبحت أقل خطورة وربما أمكن تخطيها بسهولة وهن : الحذر من حب الدنيا ، وطلب الدنيا والآخرة ، وذكر الله غفران للذنوب .

الحمد لله وصلت إلى الشاطئ الأخير فهل لك من راحة وزاد للتخفيف من عناء السفر !

ربما سمعت عن أنظمة الحمية التى يتبعها أصحاب الوزن الزائد أو اللاتى يرغبن فى الصحة والجمال ، ونظام حميتنا يتطلب تخفيف الذنب والأخطاء عن الإنسان بقدر المستطاع ، وكما يتطلب نظام الحمية الغذائية زيادة فى المجهود لحرق المزيد من الدهون فإن نظامنا يتطلب مزيداً من المجهود النفسى والبدنى والعقلى والروحى للوصول إلى توبة خالصة نصوح لله تعالى . وهو لا يسمح بنظام « اليوىو » لإنقاص الوزن وهو الزيادة والنقصان والزيادة والنقصان مرات عديدة ، ولكننا نتغير بالعزم والإصرار على عدم الرجوع لارتكاب الذنوب ، ولكى نتبع هذا النظام لا بد أن ندرس الباب الثانى الذى يصنف لنا الذنوب ثلاثة تصنيفات ويفند أكثر من ثمانين ذنباً ، والباب الثالث الذى يتخصص فى التوبة تعترفين من خلاله على التوبة لماذا هى وثمرتها ووقتها ، ثم مراحلها وشروطها ، ولا يترك الكتاب قبل أن يضع لك برنامجاً مفصلاً للتوبة من سنة رسولنا وخاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الله قصد السبيل .

أهمية البحث :

تتضح أهمية البحث من خلال ثلاثة محاور :

المحور الأول : يتعلق بالموضوع .

المحور الثانى : يتعلق بالفئة الموجه إليها البحث .

المحور الثالث : يتعلق بالظروف الحياتية المعاصرة .

تبدو أهمية البحث فيما يتعلق بالموضوع وهو التوبة من الذنوب والخطايا فى اتساع وعمق التناول من خلال دراسة سنن الأنبياء فى توبتهم إلى الله تعالى وربطها بواقع البنات والأمهات ومشكلات أكثر إلحاحا فى ظروف حياتية مختلفة . وهى محاولة للتعلم فى أمور الدين وفى فهم ما وراء الآيات القرآنية والاستفادة منها فى حياتنا وتصحيح مسارها .

وفىما يتعلق بالفئة الموجهة إليها البحث وهى البنات فى مرحلة المراهقة والأمهات ، فإن مرحلة المراهقة مرحلة انتقالية وطويلة وتتميز بالنمو العقلى المعرفى الذى يسمح بالفهم والتدبر وإمكانية الاستفادة من المنهج المستخدم فى البحث . كما تتميز بالنمو الانفعالى وتغيره بشدة عن مرحلة الطفولة حيث تزداد استخداماً لمفردات الحب والحبيب والصديقة والصديق وهى علاقات ربما يستخدمها البنات بشكل خاطئ وخاصة من يفتقرن منهن للعلم والدين والثقافة ، وتبرز اهتمامات للمراهقات لم تكن واضحة من قبل وخاصة فى الزينة وأصناف الترفية وقضاء الوقت واستخدامات التكنولوجيا مثل الهاتف المحمول والحاسبات الآلية ويحاول البحث تقريب سنن الأنبياء لهذا الواقع وهذه الخصائص التى تتميز بها المراهقات عن غيرهن .

أما الأمهات فإن البحث يهتم بإعطائهن العديد من المواقف والمشكلات والحلول المتواضعة التى يمكن أن تساعدن فى تصحيح مسارهن سواء مع أنفسهن أو مع بناتهن وخاصة أن الأمهات أصبحن يواجهن مشكلات نابعة من قصور علمهن فى الدين والدنيا ، وتأثر بناتهن بفئات أخرى مثل الصديقات والإنترنت والتليفزيون والمدرسة والتعليم ومناهج التعليم والمدرسين وغيرهم .

وهو ما أدى إلى توسيع مشكلاتهن مع بناتهن وصعوبة حلها وربما عدم محاولة حلها على الإطلاق لتعسرهما ولشيوعها مما يجعل الأمهات يفضلن عدم الخوض فى

أما ما يتعلق بأهمية البحث التابعة من المشكلات الحياتية المعاصرة فإن جميع مناحى الحياة قد تغيرت بسرعة وبشدة عما كانت تعيش فيه الأمهات فيما سبق فقد تغيرت العلاقات الاجتماعية فضاقت فى محيط الأسرة والأقارب واتسعت فى محيط العالم الخارجى من خلال الإنترنت . وأصبحت أكثر سطحية وأكثر سعة وأقل ارتباطاً وأسرع تفككاً . وقلت إمكانية البنات على الإنتاج والاعتماد على النفس ، وفى الإطار السياسى زادت التوترات السياسية التابعة من السيطرة على السلطة وتدهور الأحوال الاقتصادية التابعة لذلك ، وانتشار المفاهيم المغلوطة التى تقلب الموازين رأساً على عقب فالجهاد إرهاب ، والعفة تخلف ، والزنا حرية وحقوق والحجاب تخلف ومستفز ، وفى التعليم انتشر الغش وعدم إخلاص المعلمين وتهافتهم على تجميع الأموال من الطلاب بطرق مختلفة وحرمان الطالب من حقه فى الفهم والتعليم الصحيح داخل إطار المدارس أو المعاهد والكليات والتقليص من مناهج الدين وتغيير كثير من المفاهيم أو إخفائها لتحقيق أهداف غير سوية ، وفى الجانب الإعلامى والشفافى ازداد استخدام وسائل الإعلام لنشر الرذائل والعرى الفاحشة وتعتمد تقليص دور الدين والمتدينين فى نشر الفضائل من خلال وسائل الإعلام .

ولا يخفى على أحد أن التليفزيون أصبح من أكثر المؤثرات على تربية النشء والأطفال وعلى علاقة الأفراد داخل الأسرة وعلاقة الشباب ببعضهم خارجها .

ومن هنا فإن هذا البحث يقدم أكثر من ثمانين ذنباً يمكن أن تقع فيه البنات أو الأمهات والتى أثرت فيهن كل الظروف السابقة الذكر، ويقدم حلولاً أو سبلاً لتجنبها وتعلم كيفية التوبة منها وعدم الوقوع فيها وذلك بالاعتماد الأساسى على القرآن الكريم وسنة محمد ﷺ - خاتم الرسل والأنبياء .

أهداف البحث :

- إلقاء الضوء على سنن بعض الأنبياء فى التوبة ومنهجهم وطريقة توبتهم بما يسمح بالاعتداء بهم .
- ربط مناهج الأنبياء فى التوبة بمواقف حياتية يستفيد منها البنات والأمهات فى طريق التوبة .

- التعرف على تصنيفات الذنوب بما يسمح بسرد العديد من الذنوب داخل هذه التصنيفات .

- إعطاء العديد من التطبيقات على الذنوب من حياة البنات أو الأمهات وأساليب معالجتها .

- الوقوف على التوبة من حيث فائدتها وثمرتها ووقتها ومراحلها وشروطها بما يسمح بتوسعة مدارك البنات والأمهات حولها كفريضة واجبة عليهن .

- تعميم برنامج يومى لتجديد توبة البنات والأمهات اتباعا لسنة الرسول محمد ﷺ .